نبذة تاريخية عن المعاجم العربية

إعداد

المهندس محمد بن عبد القادر الدبّاغ

المولود في بغداد عام ١٩٦٥م

غفر الله له ولوالديه

صنعاء- اليمن ٢٠١٢م

جميع الحقوق محفوظة

ما هو المعجم؟

المعجم أساسا هو كتاب يشرح معاني الكلمات. ويكون الشرح بكلمات أخرى من نفس اللغة وحينها يطلق على المعجم (أحادي اللغة) أو يكون الشرح بكلمات من لغات أخرى فيكون المعجم (ثنائي اللغة) أو (متعدد اللغات). ولكي يتم الاهتداء إلى موضع الكلمة في المعجم دون الحاجة للبحث من أوله لآخره، تُرتّب الكلمات حسب تسلسل أبجدي. وكل ما عدا ذلك من وظائف المعجم يعد إتماما للفائدة مثل الوسائل الكفيلة بالنطق السليم للكلمة قيد الشرح، وإيراد أصلها إن كانت دخيلة، وإن كانت منحوتة إيراد الكلمات التي نُحِتت منها، والتتبع التاريخي لتطور مدلولات الكلمة من خلال إيراد شواهد مرتبة من الأقدم فالأحدث فالأحدث، والنص على تصاريف الكلمة حسبما يقتضي الأمر. وهنالك إضافات أخرى مثل النص على مرادفات الكلمة ومضادّاتها... وزيادة في الإيضاح تستخدم كثيرا من المعاجم الصور والرسوم التوضيحية والخرائط، وتستخدم المعاجم الألكترونية التي شاعت بكثرة في عصرنا هذا الأصوات والأفلام والرسوم المتحركة لمزيد من الإيضاح.

الدافع الديني

ويعتبر الدافع الديني كبيرا في التأليف المعجمي لأن النصوص الدينية تتسم بالرقي اللغوي وبالتالي توظف غريب اللفظ الذي يحمل مدلولات خاصة تترتب على فروقات معانيها أحكام مختلفة في أصول فقه الدين ووجود المعجم ضروري لإثبات مدلولات الألفاظ المختلفة بوصفه إطارا مرجعيا. وفي حال الحضارات (التي تدّعي) العَلمانية فإن الدافع القانوني مهم طالما إن القانون الوضعي هو دين الدولة!

تباشير عهد المعاجم العربية

... فبداية التأليف المعجمي (عربي عربي) في الجزيرة العربية ربما كانت انطلاقا من تفسير القرآن ورائد ذلك عبد الله بن عباس بن عبد المطلب المعروف بـ (إبن عباس) الصحابي الكبير (توفي عام ٦٨٧م) الذي أطلق عليه ترجمان القرآن فقد كان رحمه الله معجما حيا. وهنالك آثار تنسب إليه مثل (تنوير المقباس).

أول معجم في اللغة العربية

وبينما كان الجهل منتشرا في أوروبا عام ٧٥٠م كان العرب منهمكين في إعداد أول معجم عربي يعتمد نظاما معينا لترتيب الكلمات... وجاء اللغوي الفذ، مكتشف علم العروض، الخليل بن أحمد الفراهيدي (توفي عام ٧٩١م)... متأثرا بخبرته الشعرية الهائلة وما صنفه من الإيقاعات الشعرية (علم العروض)، ليقترح آنذاك ترتيب الحروف العربية حسب مخارج أصواتها مبتدئاً بحرف العين الذي يأتي من قعر الممر الهوائي ومنتهيا بحرف الميم الذي يخرج من بين حرفي الشفتين وفي النهاية أصوات العلة وعلى النحو التالي: ع ح هـ خ غ – ق ك – ج ش ض – ص س ز – ط د ت – ظ ث ذ – ر ل ن – ف ب م – و ا ي – همزة. وهكذا أطلق على معجمه إسم (العين) تيمنا بحرف العين الذي ابتدأ به معجمه... واتبع نظاما فرعيا للتصنيف اعتمد على التقاليب (تعرف في علم الرياضيات الحديثة بإسم التباديل Permutations وتحسب من دالة المضروب) فالكلمة المكونة من حرفين تحتمل شكلين وثلاثة أحرف تحتمل مضروب الثلاثة ٣!=(٣×٢×١)=٦ أشكال محتملة والأربعة فيها ٤!=(٤×٣×٢×١)=٢٤ شكلا محتملا والخمسة ١٢٠ شكلا محتملا (تحسب بنفس الطريقة) وهو جل ما تسمح به العربية من حروف أصلية (باستثناء بعض حكايات الاصوات)... فمثلا يورد في مادة (سلم): «باب السين واللام والميم معهما س ل م س

م ل م س ل م ل س ل س م ل م س كلهن مستعملات» أي أنه يحصر الكلمات المتوفرة من تقليب الحروف، ويحاول اعتمادا على خبرته اللغوية، استبعاد التقاليب التي لا تعني شيئا ويبقي على الأشكال التي لها معنى فقط.

ثورة التأليف المعجمي العربي

وشهد القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي (حوالي ٣٥٠ هـ في حدود ٩٥٠م) ثورة حقيقية في التأليف المعجمي العربي، ومن الآثار الخالدة آنذاك كتاب (الإشتقاق) وهو كتاب يبحث في معاني الأسماء لمؤلفه (إبن دريد) (المتوفى عام ٩٣٣م) وأشفعه بمعجم (جمهرة اللغة) وهو أول معجم أشار إلى أفعال قد مات معناها فقال (فعل مُمات) وهو أمر درجت عليه المعاجم الأوروبية والأمريكية (بعد سبعة قرون من إبن دريد) حيث يشار إلى هذه الصفة في اللغة الإنجليزية بكلمة Obsolete. نقتبس من (الجمهرة) المثال: (ب–ح–ظ): « رجل حُظُب، وهو الجافي الغليظ، وقالوا: البخيل. ووتر حُظب: غليظ، واشتقاقه من حَظَبَ يَحظِب ويحظُب، وهو فعل مُمات ». وظهر في الأندلس معجم جديد هو (البارع في اللغة) لإسماعيل القالي البغدادي (توفي عام ٩٦٧م) وللأسف لم يبقى منه إلا وريقات في المتاحف، وقد طور في العمل المعجمي بأنه كان يثبت بالكلمات نوع الحرف في حال وروده في الكلمة هل هو معجم (منقوط) أم مهمل (غير منقوط) وذلك توثيقا للكلمة وخوفا من التحريف، كذلك فقد كان يذكر التشديد والتشكيل حسبما يقتضي الأمر، وكل ذلك من حرصه على النقل والتوثيق الدقيق وهو بذلك قد طور في المنهجية المعجمية العربية.

كتاب التهذيب

وجاء محمد بن أحمد الأزهري (توفي عام ٩٨٠م) معاصرا لإسماعيل القالي ليخرج علينا بتحفة عربية أصيلة ألا وهي (تهذيب اللغة) الذي اعتمد على كتاب العين بشكل أساسي مع ما أضافه المؤلف من شواهد لم ينتهج في ترتيبها نهجا ثابتا ولكنه اهتم كثيرا بشواهد القرآن الكريم وخصوصا ما فيه من قراءات مختلفة وكذلك إهتم بشواهد الحديث النبوي. وقد تميز معجمه بالكثير من الشروحات التي اعتمد فيها على خبرته الشخصية الأمر الذي أثرى كثيرا مواد المعجم.

المعاجم المتخصصة

وتوالت المعاجم العربية بعضها ما هو أعمال قائمة بذاتها وبعضها ما استدرك على معاجم أخرى وظهر فن المعاجم المتخصصة مثل معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس الرازي (توفي عام ١٠٠٥م) وهو معجم يهتم بتقصي جذر الكلمة العربية والنص على معناه الأساسي مثال ذلك شرحه مادة «(ثعب): الثاء والعين والباء أصلٌ يدلُّ على امتداد الشيء وانبساطِه، يكون ذلك في ماءٍ وغيره. قال الخليل: يقال ثَعَبْت الماءَ وأنا أثْعَبُه، إذا فجّرته فانثَعَب، كانثعاب الدّمِ من الأنف. قال: ومنه اشتُقّ مَثْعَب المَطَر. وممّا يصلُح حمْلُه على هذا، الثُّعبانُ الحيَّةُ الضَّخْم الطويل؛ وهو من القياس، في انبساطه وامتداده خَلْقاً وحركةً». ويعتبر (مقاييس اللغة) بمثابة نواة لعلم التأثيل (أو ما يعرف بالاتيمولوجيا Etymology). ومن المعاجم المتخصصة ايضا معاجم المرادفات والتي تعرف اليوم بالإنجليزية بإسم (معجم المرادفات Thesaurus) مثال ذلك معجم (المخصَّص) لمؤلفه العالم الضرير (إبن سِيْدَه الأندلسي) عام ١٠٣٧م والمخصص يورد الكلمة ويورد أخواتها أي مرادفاتها ويسلط الضوء على المعاني المختلفة لهذه المترادفات مما يجعله كتابا غاية في الفائدة والإمتاع. مثال ذلك شرحه باب: «(وجَع الرأس): ابن السكيت، دِيرَ بي وأُدِيرَ، صاحب العين، دِيرَ بي وعليَّ وهو الدُّوار والدَّوار، ابن السكيت، وكذلك دِيمَ وأُديم وهو الدُّوَام – كِلْتاهُما إذا دارَ رأْسُه، ابن دريد، الهُدَام –

داءٌ يُصيب الإنسانَ في البَحْر وقد هُدِم الرجلُ، قال أبو علي، الرُّؤَاس والصُّدَاع – وجَعُ الرأسِ وقد صُدِعَ، صاحب العين، وقد يجوز في الشعر صُدِعِ والغَوْل – الصُّدَاع وفي التنزيل «لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ» والشَّقِيقَة – داءٌ يأخُذُ في نِصْف الرأْسِ، ابن دريد، المَيْد – ما يُصيب من الحَيْرة عن السُّكْر أو الغَثَيان أو رُكُوب البحرِ وقد مادَ».

نضوج الخبرة المعجمية العربية

سجّل القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي نضوج الخبرة المعجمية العربية على نحو لم يشهد له التاريخ مثيلا فجاء إسماعيل بن حمّاد الجوهري (توفي عام ١٠٠٣م) بمعجم الصحاح وقد رتب المعجم على القافية لأول مرة وهو ابتكار ينسب الى إبن اليمان البندنيجي (توفي عام ٨٩٧م) ولكن الصحاح قد كرّس هذا التصنيف شاهرا إياه بين جمهور المتعلمين (خصوصا الشعراء) كونه من المعاجم الشاملة. بل أنه أول معجم ترجم بالكامل الى الفارسية والتركية. وأدت أصالة المنهج في الصحاح وحسن تأليفه الى موجة من المعاجم لـخّصته أو استدركت عليه. ثم جاءنا إبن فارس الرازي (توفي عام ١٠٠٥م) بمعجمين هما (المجمل في اللغة) و(مقاييس اللغة)، ثم جاءنا إبن التياني (المتوفى عام ١٠٤٤م) بمعجم (الموعب) وإبن سِيْدَهْ الأندلسي (المتوفى عام ١٠٦٦م) بمعجمي (المحكم) و(المخصص). ودشّن إبن السيِّد البَطَلْيَوْسِيّ (المتوفى عام ١١٢٧م) القرن السادس الهجري القرن الثاني عشر الميلادي بمعجم (المثلث) وهو من المعاجم المتخصصة بإيراد ثلاث ألفاظ تختلف معانيها باختلاف حركات حروفها. ثم جاءنا الزمخشري (المتوفى عام ١١٤٣م) برائعته (أساس البلاغة) وإبن بري (المتوفى عام ١١٨٦) بكتاب (الحواشي).

ولادة كلمة معجم في أوروبا

Dictionary (di·kʃənări). [ad. med.L. *dictiōnārium* or *dictiōnārius* (sc. *liber*) lit. 'a repertory of *dictiōnēs*, phrases or words' (see DICTION) in F. *dictionnaire* (R. Estienne 1539), It. *dizionario*, Sp. *diccionario*.]

1. A book dealing with the individual words of a language (or certain specified classes of them), so as to set forth their orthography, pronunciation, signification, and use, their synonyms, derivation, and history, or at least some of these facts: for convenience of reference, the words are arranged in some stated order, now, in most languages, alphabetical; and in larger dictionaries the information given is illustrated by quotations from literature; a word-book, vocabulary, or lexicon.

Dictionaries proper are of two kinds: those in which the meanings of the words of one language or dialect are given in another (or, in a polyglot dictionary, in two or more languages), and those in which the words of a language are treated and illustrated in this language itself. The former were the earlier.

Dictionarius was used c 1225 by Joannes de Garlandia, a native of England, as the title of a collection of Latin vocables, arranged according to their subjects, in sentences, for the use of learners; e.g.

'In horto magistri Johannis sunt herbe scilicet iste: salvia, petroselinum, dictamnus, ysopus, celidonia, feniculus, piret[r]um, columbina, rosa, lilium, et viola; et a latere crescit urtica, carduus, et saliunca.'

In the following century Peter Berchorius (died Paris, 1362) wrote a *Dictionarium morale utriusque Testamenti*, consisting of moralizations on the chief words of the Vulgate for the use of students in theology. In 1538 Sir Thomas

مادة Dictionary في معجم أوكسفورد التاريخي

كل ذلك التراث المعجمي ولم تظهر بعد كلمة (معجم Dictionary) في اللغة الإنجليزية بعد بالمعنى المتعارف عليه الآن، إذ أن معجم أوكسفورد التاريخي ينص على أن كلمة Dictionary أنما ظهرت أول ما ظهرت عام ١٢٢٥م بشكل Dictionarius واستخدمها جوانس دي جارلانديا Joannes de Garlandia مطلقا إياها على كتاب يرتب مقاطع لفظية لاتينية (حسب المواضيع وليس حسب الأبجدية) ويورد شواهد على استخدامها. وطبعا لم يوقف جهل الغرب بالمعاجم عجلة الصناعة المعجمية العربية فقد دشّن رضي الدين الصاغاني (المتوفى عام ١٢٥٢م) القرن الثالث عشر الميلادي بمعجم (العباب الزاخر) وعاصره الزنجاني (المتوفى عام ١٢٥٨م) بمعجم (مختصر ترويح الأرواح) ومن ثم جاءنا محمد أبو بكر الرازي (المتوفى عام ١٢٦٨م) بمعجمه المختصر الشهير (مختار الصحاح) الذي شاع بين طلبة العلم بوصفه معجما صغير الحجم إعتنى بإيراد كلمات القرآن الكريم والحديث الشريف وقام بالنص على أبواب الفعل فكان عملا جليلا (على صغر حجمه) ومدخلا لأن يتعرف طلبة العلم على المعنى الحقيقي للمعاجم.

لسان العرب – القفزة النوعية الهائلة

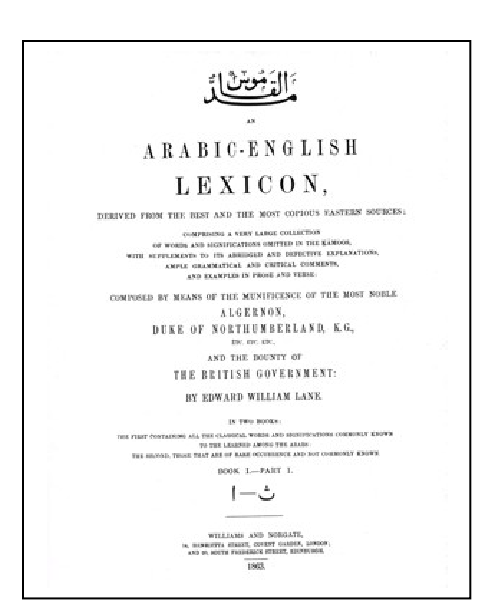
وجاءت القفزة الهائلة في التأليف المعجمي على يد جمال الدين بن المنظور عام ١٣٠٠م حينما قرر هذا الفذّ أن يجمع جل التراث المعجمي العربي في مكان واحد فكان (لسان العرب) الذي جمع بين حسن الترتيب وغزارة المادة من الشواهد القرآنية والحديثية والشعرية والنثرية وقد اعتنى به المؤلف أيما اعتناء فأصبح بحق تحفة اللغة العربية وخزانتها. وقد تم نشره عدة مرات على ترتيب القوافي وعلى الترتيب الأبجدي المعروف لجذور الكلمات.

GEORGII WILHELMI FREYTAGII
LEXICON
ARABICO-LATINUM
PRAESERTIM
EX
DJEUHARII FIRUZABADIIQUE ET ALIORUM ARABUM
OPERIBUS
ADHIBITIS GOLII QUOQUE ET ALIORUM LIBRIS
CONFECTUM.
ACCEDIT
INDEX VOCUM LATINARUM LOCUPLETISSIMUS.
TOMUS PRIMUS.
ا — ح
HALIS SAXONUM
APUD C. A. SCHWETSCHKE ET FILIUM.
MDCCCXXX.

القاموس المحيط – آسر الألباب

وبعد فترة من الجمود النسبي في التأليف المعجمي العربي طلع علينا مجد الدين الفيروزآبادي عام ١٤٠٠م بدرة معجمية أبهرت الأدباء بل وسحرت المستشرقين فيما بعد ألا وهي (القاموس المحيط) حتى إن لفظة قاموس (قمس أي غاص في البحر والقاموس هو البحر العظيم) اصبحت رديفة للفظة معجم... وربما جاءت شهرته من الإيجاز في الشرح مع غنى المواد الواردة فيه وهكذا أصبح مرجعا سريعا لطلبة العلم. وقام أعلام من المستشرقين أمثال جورج فيلهيلم فريتاج بالاعتماد على قاموس الفيروزآبادي (الى جانب صحاح الجوهري) في ١٧٣٠م في تصنيف معجمه العربي اللاتيني الشهير.

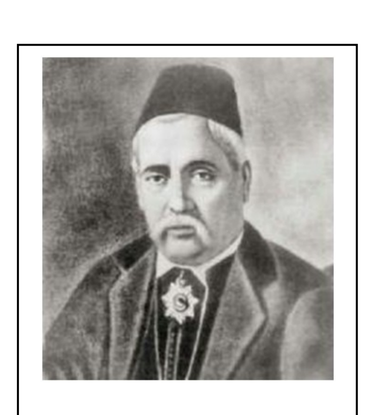
وقد سمّى أحد أبرز المستشرقين وهو (إدوارد لين) معجمه العربي الإنجليزي (مدّ القاموس) (الذي مولته الحكومة البريطانية وطبع عام ١٨٦٣م) تيمنا بقاموس الفيروزآبادي. وكان معجم لَيْن بمثابة ترجمة لأكثر المعاجم العربية العربية ضخامة الا وهو:



معجم تاج العروس من جواهر القاموس

الذي ظهر في عام ١٧٧٤ لمؤلفه (محمد مرتضى الزَبِيْدي) (نسبة الى زَبِيد في اليمن علما أنه ألف المعجم في مصر). وقد أراد الزبيدي من (التاج) أن يتوسع في مواد معجم (القاموس المحيط)، وقد تميز هذا المعجم بإضافة بعض الكلمات من العامي والدخيل والتي شاعت بين الناطقين بلغة الضاد حتى أصبحت تتداول بين علماء العربية كحقيقة واقعة. ويؤخذ على هذا المعجم النقل المباشر في أحيان كثيرة عن (اللسان) دون تنقيح ولكنه على أي حال يعتبر موسوعة لغوية قائمة بذاتها وربما كان من الأصح أن نطلق عليه قاعدة بيانات اللغة العربية، أو الذخيرة المعجمية العربية حتى القرن الثامن عشر الميلادي. وقد قامت الحكومة الكويتية بالاعتناء بطبعه وتشكيل مواده وشروحاتها فأصبح بذلك من أفضل ما يتوفر للمحقق في اللغة العربية وأسرارها التي باحت بنفسها للزبيدي فكشف اللثام عنها... وقد شكك البعض في نسبته الى الزبيدي (ومنهم المستشرق إدوارد لَيْن الذي إعتمد عليه كما اسلفنا) إلا إنها على ما يبدو إدعاءات باطلة ولا مجال لإيراد الأدلة هنا.

رعاة الكنيسة الشرقية يستلمون الراية المعجمية في البلاد العربية


المعلّم بطرس البستاني

وبعد فترة من الركود النسبي في حركة التأليف المعجمي العربي شرع الآباء اليسوعيون في بلاد الشام بالاهتمام بوضع معاجم كان الغرض منها توثيق اللغة العربية العصرية والاهتمام بالمفردات النصرانية بنسختها العربية وترويجها... وهكذا جاءنا بطرس البستاني (يلقب بالمعلّم) في عام ١٨٦٩م بمعجمه المعروف بـ (محيط المحيط) وكان معجما شاملا للغة العربية (إنطلق من القاموس المحيط للفيروزآبادي) وأراد به مؤلفه أن يضفي طابع الحداثة ويوثق أيضا للكلمات الجديدة التي دخلت على اللغة العربية بالطرق المختلفة فكان توثيقا للعربية الشائعة بين مثقفي زمانه، ولا يخفى بأن هذا المعجم قد واكب تباشير الثورة الصناعية في الغرب الذي بدأ يهتم بالمعاجم على نحو لا مثيل له. فكان اطلاع المعلم بطرس البستاني على المعاجم الغربية (ومن ضمنها معاجم المستشرقين) دافعا لمحاولته إبراز اللغة العربية على أنها كائن حي متجدد، لا بل أن كاتب هذه السطور يعتقد بأن (محيط المحيط) كان مصدر إلهام لعلماء المجامع العربية في إقرار كثير من المصطلحات الحديثة (مثل كلمة مقصف مقابل لكلمة Buffet بمعناها الأنجليزي بمعنى ركن لتناول الوجبات الخفيفة والعصائر وأحيانا كمقابل لكلمة Cafeteria) والتي شاعت فيما بعد كشكل فصيح للدارجتين الدخيلتين (بوفيه) و (كافتيريا)! وقد أدت الثورة المعجمية الأوروبية في القرن الثامن عشر وما بعده الى بروز معجميين عرب تأثروا بتلك النهضة وأرادوا أن يواكبوا الغرب فبدأت حركة معجمية جديدة من نوعها مهد لها (محيط المحيط) ومختصره (قطر المحيط) الذي اعده المعلم بطرس البستاني ايضا للطلبة بإختزال مواد معجمه الأول.

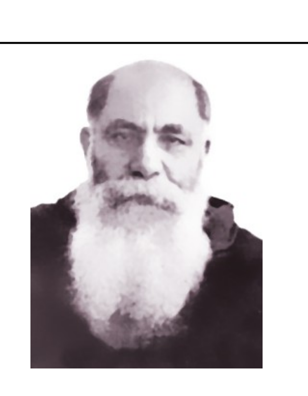
أقرب الموارد – إسقاط ألفاظ السوءات

وبعد ذلك بعشرين عاما وبالتحديد عام ١٨٨٩م اصدر سعيد الخوري الشرتوني معجم (أقرب الموارد) الذي كان أكثر لصاقة بالعربية الفصحى وأكثر تحفظا، وامتاز بمقدمته المؤلفة من غريب العربية وقال في معرض نقده للمعاجم العربية التي سبقته: «على أن خطّتهم في جمع اللغة تَحلِئ الظِماء عن مواردِهم وإن عذُبت، وتمنو ممارسي كتبهم بضيق الصدر وإن رَحُبت، فقد جاءوا بمعاني الكلمة الواحدة شتاتَ شتاتَ، كأنها أزماع نبات فأيمُ اللهِ ليوشكَنَّ جَلَد الناشدِ أن ينفد قبل الظفر بضالّته، ووقت الطالب أن يتجرّم دون إمساك نادّتهِ، وهم فوق ذلك لم يُكثِبوا النظر فروعَ المواد، بل أتوا بها كالمتواري في خَمَر الواد...»! وأسقط (أقرب الموارد) ما كان يرى أنه من الدارج وورد في (محيط المحيط) فمثلا أسقط الشرتوني لفظة (مقصف) التي وردت في (محيط المحيط) وغير ذلك مما يؤاخذ الشرتوني عليه (محيط المحيط) ويجعله متماديا قليلا في إيراد العامي من اللفظات، كما أبتدع (أقرب الموارد) نهجا غريبا هو إسقاط ألفاظ السوءات وما يلحقها والتي تشكّل حرجا للبعض آنذاك (أنظر على سبيل المثال مادة "حرق" في كل من أقرب الموارد ومحيط المحيط)، وجعل من ذلك النهج هدفا أساسيا لمعجمه وهو بذلك قد ابتكر مدرسة جديدة في التأليف المعجمي العربي كان الغرض منها إعداد كتاب يكون في متناول شريحة من المثقفين المتحفظين الذين يتحرجون من ألفاظ العورات وما يلحقها!

المنجد – مدرسة الحداثة

وفي عام ١٩٠٨ خرج علينا الأب لويس معلوف اليسوعي (١٨٦٧م/١٩٤٦م) بمعجم (المُنْجِد) الذي اختزل فيه تجارب الأولين والمعاصرين من العرب والأجانب وأسقط ألفاظ السوءات ايضا وحاول أن ينتهج منهجا عربيا بنكهة أوروبية إستشراقية تنصيرية، واشتمل على الصور والرسوم الإيضاحية والخرائط وغيرها ربما للمرة الأولى في تاريخ المعاجم العربية الشاملة، واشتملت الطبعات القادمة على ملحق بالأمثال العربية وملحق بالأعلام (خصوصا الشخصيات النصرانية). وقد لقي معجم (المنجد) قبولا واسعا بين المثقفين العرب رغم نكهته النصرانية الخالصة، مثلا في مادة (خنز) يورد: «الخنزير البرّي(ح): حيوان شبيه بالخنزير لكنّه يتميز عنه على الأخص بعدد أنيابه وشكلها. لحمه لذيذ الطعم»! وكان الأولى أن يورد بأنه نجس لدى المسلمين ومحرّم اكله (من باب الموضوعية). وكتب (المنجد) بعض ما يخص المسلمين وشرحه في الغالب من وجهة نظر نصرانية؛ فمثلا يورد البسملة ويقول إنها عند المسيحيين (كذا) وعند المسلمين (كذا) والحق يقال إن الثقافة النصرانية خالية من شئ إسمه (بسملة) لأن بسملة منحوتة من (بسم الله) والنصارى لا يقولون (بسم الله) كما هو معروف. لقد أهّلت صفات الحداثة (المنجد) أن يتبوأ مكانته لدى الصحفيين العرب، فلغة الصحافة لغة غير متحفظة في الغالب وتسمح إلى جانب العربية الفصحى باستخدام المعرّب والدخيل والعاميّ من الأشكال المستحدثة التي وثقها (المنجد) وشكّلها رغم إشكاليات تشكيل هذه الاشكال الدخيلة! فلذلك يعتبر (المنجد) معبّرا عن حاجة الحداثة وليس موثّقا حقيقيا للغة العرب الأقحاح ولا يَعتدّ به كثيرون عندما يخوض في خصوصيات الإسلام وشخوصه فالانتقادات كثيرة في هذا المجال ولا مجال لذكرها ههنا (انظر مثلا كتاب النزعة النصرانية في قاموس المنجد تأليف الدكتور إبراهيم عوض من جامعة أم القرى). ورتب (المنجد) موادّه على أساس الأصل المجرد ووفقا للحرف الأول فالثاني فالثالث وهكذا. وبالرغم من وفاة الأب لويس معلوف اليسوعي فقد استمر (المنجد) بالتطور وهو أول معجم في اللغة العربية نفى صفة الفردية عن مؤلفه، فلم يعد (المنجد) مرتبطا بشخص بعينه (رغم استحالة نسيان مؤلفه الأول الأب لويس معلوف عند سائر المثقفين) بل أصبحت تقوم على تحريره مؤسسة كاملة نظرا لنجاحه التجاري المنقطع النظير. وفي عام ١٩٦٧ تم ترتيب المنجد حسب كلماته بمجردها ومزيدها أسوة بنظام المعاجم الغربية والذي طبقه في المعاجم العربية أولا وبنجاح علم من أعلام المعاجم (المزدوجة اللغة) ألا وهو إلياس أنطون إلياس (توفي عام ١٩٥٢م) في معجمه (القاموس العصري) عربي إنجليزي الطبعة الاولى عام ١٩٢٢م.

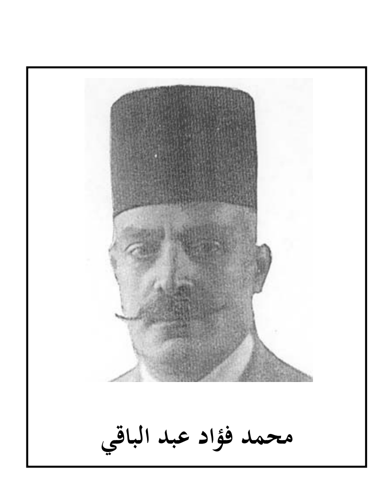
الأب إنستاس ماري الكرملي

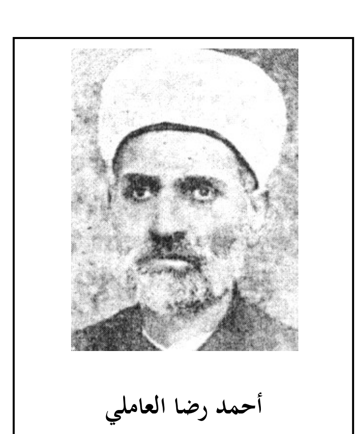

أنستاس ماري الكرملي

ولا بد هنا من ذكر شخصية نصرانية إهتمت باللغة العربية على نحو مغاير لما قام به اليسوعيون من محاولات تغريب المعجم العربي. إنه الأب إنستاس ماري الكرملي (١٨٨٦م/١٩٤٧م) الذي اسس مجلة لغة العرب (١٩١١م حتى ١٩١٤م ثم توقفت بسبب إعتقال الكرملي وعادت للصدور من ١٩٢٦م حتى ١٩٣١م). لقد أتحفت هذه المجلة المعجمية العربية بالكثير حتى أن الشيخ أحمد رضا العاملي قد خصص جزءا من معجم (متن اللغة) لمصطلحات عرّبها الأب إنستاس ماري الكرملي (مثال ذلك كلمة معيار Criterion وجمعها معايير Criteria). لقد اطّلع كاتب هذه السطور شخصيا على مكتبة الأستاذ إنستاس ماري الكرملي وكانت حينها في دير الآباء الكرمليين في مدينة

بغداد بالقرب من وزارة التخطيط سابقا ولا يدري ما حل بها الآن، وخصوصا مخطوطة معجم (المساعد) الذي ألفه الكرملي ليغطي تعريف وتأثيل مفردات من العامي والمعرّب والدخيل ولم يكتب لهذا المعجم الإكتمال فقد لاحظ كاتب هذه السطور النقص في مخطوطته (المكتوبة تارة بالمداد وتارة بالرصاص بخط يد الكرملي الدقيق). والحق يقال أن الكرملي خدم اللغة العربية خدمة جمة وكان مثلا أعلى للنصارى والمسلمين على حد سواء في الغيرة على اللغة العربية وحمايتها من نزعات التغريب.

المسلمون يستعيدون لواء المعجمية شيئا فشيئا


محمد فؤاد عبد الباقي


أحمد رضا العاملي

فضلا عن أعماله الجليلة الأخرى قام المغفور له محمد فؤاد عبد الباقي (توفي عام ١٩٦٨م) بوضع (المعجم المفهرَس لألفاظ القرآن الكريم) (وكان الأجدر تسميته الفهرس الأبجدي لألفاظ القرآن الكريم) عام ١٩٤٥م لتكملة الجهد العظيم الذي قامت به جامعة ليدن في تأليف (المعجم المفهرَس لألفاظ الحديث النبوي) عام ١٩٣٦م. لقد شكل هذان الفهرسان الذان اتخذا شكل المعجم في كل منهما (طالما أنهما، فضلا عن وظيفة الفهرسة، يشيران بشكل غير مباشر لمعنى الكلمة بإيراد النص القرآني أو المتن الحديثي) بديلا حقيقيا عن برامج الحاسوب الحالية التي تبحث في النصوص القرآنية والحديث النبوي الشريف بل إنهما لا يزالان أكثر نفعا من الحاسوب عند البحث الصرفي حتى يومنا هذا! وفي تلك الفترة المهمة من تاريخ المعجمية العربية تم افتتاح ثلاثة مجامع للغة العربية في دمشق عام ١٩١٩م وفي القاهرة عام ١٩٣٢م وفي بغداد عام ١٩٤٧م. وهنا لا بد أن نذكر بأن باكورة الأعمال المعجمية المجمعية كان لمجمع اللغة في دمشق الذي كلف الشيخ أحمد رضا العاملي (توفي عام ١٩٥٣م) بتأليف معجم (متن اللغة) وذلك عام ١٩٣٠م كمعجم عصري شامل يضاف إليه ما أقره المجمع فأتم المهمة في عام ١٩٤٨م كما تقول المقدمة... لكن صعوبات حالت دون طبعه حتى عام ١٩٥٨م. تميز معجم (متن اللغة) بحسن ترتيبه وشموله للغة الضاد قديمها وحديثها... كما اشتمل على تصدير مسهب وممتع عن اللغة العربية وأصولها واشتمل ذلك التصدير على جدول للمكاييل العربية القديمة (مثل الدانق والمثقال والفرسخ وما إلى ذلك من المكاييل التي تبعث على الإحباط في نفس القارئ الذي يجهلها وما يقابلها بالمقاييس المعاصرة مثل المتر والكيلوغرام) وبالتالي يحل مشكلة هائلة لمن يريد فهم المقادير الواردة في الوثائق العثمانية القديمة وتلك التي تعجّ بها كتب الطب العربي القديم.

مجمع اللغة العربية في القاهرة – المعجم الوسيط

كان الغرض من تأسيس هذا المجمع (أسمه الأصلي: مجمع اللغة العربية الملكي بمصر) منذ البداية (١٩٣٤م) القيام بأعمال معجمية جليلة... فقد نص المرسوم الملكي في الفقرة (ب) منه: «أن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية وأن ينشر أبحاثا دقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها». وأن: «يقوم المجمع بوضع معجمات صغيرة لمصطلحات العلوم والفنون وغيرها تُنشر تدريجيا، ومعجم واسع يجمع شوارد اللغة وغريبها ويبين أطوار كلماتها، كما ينشر تفاسير وقوائم لكلمات وأساليب فاسدة يجب تجنبها». (أنظر: المعجم العربي نشأته وتطوره للدكتور حسين نصّار نقلا عن العدد الأول لمجلة المجمع). وهو بذلك

قد أخذ على عاتقه مشروعا طموحا يذكر بأهداف الجمعية البريطانية لفقه اللغة Philological Society. مع بعض الإختلافات الواضحة. فالجمعية البريطانية كانت قد إعتمدت على قيادات دينية لاقتراح الخطوات الكفيلة بإنجاز المعجم التاريخي والإشراف على تنفيذه (كان مدير المشروع أسقف كنيسة ويستمنستر وهو قمة السلطة الدينية في بريطانيا). والأمر اللافت للنظر بأن مجمع اللغة العربية في مصر لم يعتمد على القيادات الأزهرية بشكل تام في هذا الموضوع. وهو بذلك أراد تجنب أن يكتب المعجم المنشود من وجهة نظر إسلامية بحتة. وبالرغم من أن المعجم التاريخي لم ير النور مطلقا إلا في دراسات نظرية ونموذج تقدم به مستشرق ألماني يدعى أوجست فيشر طبع منه النزر اليسير عام ١٩٥٠م (بعد عام واحد من وفاة فيشر في ألمانيا)، فإن النجاح الحقيقي، الذي يعتبر من أهم إنجازات مجمع اللغة العربية في القاهرة، تمثّل في إصدار (المعجم الوسيط) الذي نشر بعد سنتين من نشر مجمع دمشق لمعجم (متن اللغة) أي في عام ١٩٦٠م. وقد تلقت أوساط المثقفين العرب هذا المعجم بقبول منقطع النظير لأنه قد أثبت اللغة العربية القديمة والمعاصرة، وكرّس المعجم منذ الطبعة الأولى روح الفريق في العمل المعجمي، وأعتمد على كفاءات من أعلى الدرجات في تحرير مواده التي اتسمت بوفرتها وتنوعها وشمولها لمفردات العلوم الحديثة واحتوى على الرسوم التوضيحية التي تشرح بعض من موادّه مثل رسوم النباتات والحيوانات إضافة الى شرحه المواد الدينية دون تشويه. فكان بحق إنتاج على درجة عالية من التميز والجودة (رغم تواضع إخراجه طباعيا) من خلال التزامه منهجا موحدا من بدايته الى نهايته.

مجمع اللغة العربية في القاهرة – المعجم الكبير

صدر الجزء الأول من (المعجم الكبير) عام ١٩٧٠ وما زال يصدر على دفعات إذ لم يكتمل بعد، وهو لا زال في مقتبل الأبجدية. وبالرغم من المحاولات المضنية التي اضفت على هذا المعجم صفة الضخامة والغنى اللغوي، إلا أن التخبط في منهجه كان سيد الموقف. فلا يخفى على كل مثقف عربي إن الإسم إنتهاك لمؤلف الطبراني المسمى بنفس الإسم، وبالرغم أن كتاب الطبراني ليس معجما بمعنى الكلمة، فإنه لم يكن من الحكمة اختيار هذا الإسم دون غيره وكأن قريحة العلماء الأجلاء الذين قاموا على تأليفه قد نفدت. وقد ضيّع هذا المعجم شكل المعجم وتحول في بعض مواده الى النهج الموسوعي بينما أهمل هذا النهج الموسوعي في مواد أخرى. وقد أقحم هذا المعجم نفسه في التأثيل على نحو غير علمي يتسم بالعشوائية فهو تارة يؤثل وتارة يترك. وعدّ هذا المعجم ما أورده إبن فارس في (مقاييسه) بمثابة كتاب مقدّس في اللغة فيتم إيراد رأي بن فارس وكأنه دستور لا نقاش فيه... ولكن كل ذلك لا يقلل من شأنه كمعجم عظيم الشأن في اللغة العربية غزير المادة وعلى قدر كبير من الموثوقية والمصداقية... وثّق أسماء أعلام وأمكنة وكتب الأسماء العلمية للنبات والحيوان، كما عجّ بالشواهد الشعرية والنثرية المختلفة من التراث العربي. أما إخراجه فقد تميز كعادة معاجم مجمع اللغة العربية في القاهرة بالفقر الفني المدقع، فكان في إخراجه مثل أي كتاب آخر وكأنه لم يرث عن قواعد الإخراج المعجمي المعاصر غير العمودين شيئا! وإذا كان خمس المعجم قد صدر على مدى ٣٠ عاما (الجزء الخامس صدر في عام ٢٠٠٠م)، فالحساب البسيط يقتضي أن يكمل المعجم جميع حروف اللغة العربية عام ٢١٢٠م فهنيئا لأحفادنا!

جدول مرتب زمنيا لمعاجم عربية مهمة

ت	أسم المؤلف	لقبه أو شهرته	إسم المعجم	هجري	ميلادي
١	الخليل بن أحمد	الفراهيدي	العين	١٧٥هـ	٧٩١م
٢	إسحاق بن مرار	الشيباني	الجيم	٢٠٦هـ	٨٢١م
٣	محمد بن المستنير	قطرب	المثلث	٢٠٦هـ	٨٢١م
٤	اليمان بن ابو اليمان	البندنيجي	التقفية	٢٨٤هـ	٨٩٧م
٥	محمد بن الحسن	إبن دريد	الإشتقاق	٣٢١هـ	٩٣٣م
٦	محمد بن الحسن	إبن دريد	جمهرة اللغة	٣٢١هـ	٩٣٣م
٧	اسماعيل بن القاسم	القالي	البارع في اللغة	٣٥٦هـ	٩٦٧م
٨	محمد بن أحمد	الأزهري	تهذيب اللغة	٣٧٠هـ	٩٨٠م
٩	محمد بن حسن	الزبيدي	مختصر العين	٣٧٩هـ	٩٨٩م
١٠	إسماعيل بن حماد	الجوهري	الصحاح	٣٩٣هـ	١٠٠٣م
١١	أحمد بن فارس	إبن فارس الرازي	المجمل في اللغة	٣٩٥هـ	١٠٠٥م
١٢	أحمد بن فارس	إبن فارس الرازي	مقاييس اللغة	٣٩٥هـ	١٠٠٥م
١٣	تمام بن غالب	إبن التياني	الموعب	٤٣٦هـ	١٠٤٤م
١٤	علي بن أحمد	إبن سيده	المحكم	٤٥٨هـ	١٠٦٦م
١٥	علي بن أحمد	إبن سيده	المخصص	٤٥٨هـ	١٠٦٦م
١٦	عبد الله بن محمد	البطليوسي	المثلث	٥٢١هـ	١١٢٧م
١٧	محمود بن عمر	الزمخشري	أساس البلاغة	٥٣٨هـ	١١٤٣م
١٨	محمد عبد الله	إبن بري	حواشي إبن بري	٥٨٢هـ	١١٨٦م
١٩	رضي الدين	الصاغاني	العباب الزاخر	٦٥٠هـ	١٢٥٢م
٢٠	رضي الدين	الصاغاني	التكملة والذيل والصلة	٦٥٠هـ	١٢٥٢م
٢١	شهاب الدين	الزنجاني	مختصر ترويح الأرواح	٦٥٦هـ	١٢٥٨م
٢٢	محمد بن أبو بكر	الرازي	مختار الصحاح	٦٦٦هـ	١٢٦٨م
٢٣	جمال الدين	إبن المنظور	لسان العرب	٧١١هـ	١٣١١م
٢٤	مجد الدين	الفيروزآبادي	القاموس المحيط	٨١٧هـ	١٤١٤م
٢٥	حسام الدين	الأدرنوي	الراموز على الصحاح	٨٦٦هـ	١٤٦٢م
٢٦	المرتضى	الزبيدي	تاج العروس	١١٨٨هـ	١٧٧٤م
٢٧	المعلم بطرس	البستاني	محيط المحيط	١٢٨٥هـ	١٨٦٨م
٢٨	سعيد الخوري	الشرتوني	أقرب الموارد	١٣٠٦هـ	١٨٨٨م
٢٩	ميرزا محمد	الشيرازي	المعيار	١٣١٤هـ	١٨٩٦م
٣٠	لويس معلوف	اليسوعي	المنجد في اللغة	١٣٢٦هـ	١٩٠٨م
٣١	عبد الله	البستاني	البستان	١٣٤٥هـ	١٩٢٧م
٣٢	أ. ي.	ونسنك	المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي	١٣٥٤هـ	١٩٣٦م
٣٣	محمد فؤاد	عبد الباقي	المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم	١٣٦٤هـ	١٩٤٥م

٣٤	أوجست	فيشر	معجم فيشر	١٣٦٩هـ	١٩٥٠م
٣٥	رفائيل نخله	اليسوعي	المترادفات والمتجانسات	١٣٧٦هـ	١٩٥٧م
٣٦	أحمد رضا	العاملي	متن اللغة	١٣٧٧هـ	١٩٥٨م
٣٧	مجمع اللغة	مجمع اللغة العربية	المعجم الوسيط	١٣٨٠هـ	١٩٦٠م
٣٨	مجمع اللغة	مجمع اللغة العربية	المعجم الكبير	١٣٩٠هـ	١٩٧٠م
٣٩	مجمع اللغة	مجمع اللغة العربية	المعجم الوجيز	١٤٠٠هـ	١٩٨٠م
٤٠	صالح العلي	صالح	المعجم الصافي في اللغة العربية	١٤٠١هـ	١٩٨١م
٤١	أحمد مختار	عمر	معجم اللغة العربية المعاصرة	١٤٢٩هـ	٢٠٠٨م

ملاحظة مهمة: بدءا بمعجم تاج العروس (الذي وثق تاريخ الإنتهاء منه مؤلفه مرتضى الزبيدي رحمه الله فأن التواريخ تمثل تواريخ صدور هذه المعاجم أي أنه بدءا من (محيط المحيط) فإن السنة المذكورة إزاء كل معجم تمثل سنة صدور الطبعة الأولى، وما قبلها من تواريخ هي أعوام وفاة مؤلفيها وقد استخدم كاتب هذه السطور برنامج الحاسوب المعروف (ماثماتيكا) للتحويل ما بين الهجري والميلادي (الجريجوري) وتم التحقق من التواريخ من كتاب الأعلام للزركلي. أما تاريخ الوفاة فقد يلقي بظلال من الشك حول أسبقية المعاجم، فمثلا قد تكون معاجم (العين) و(الجيم) و(المثلث) في حال تنازع على الصدارة وهو أمر فكر فيه كاتب هذه السطور طويلا قبل أن يذكره هنا، ولكن الأمر يحتاج فعلا للمزيد من الدراسة..

والقائمة أعلاه تمثل بعض المعاجم المهمة من وجهة نظر كاتب هذه السطور، وهي وجهة نظر لا تخلو من قصور البشر، فما زالت هنالك المئات من المعاجم، في الغالب إستدراكات على بعض المعاجم المذكورة في الجدول أعلاه (أنظر كتاب معجم المعاجم للأستاذ أحمد الشرقاوي إقبال، وكان أجدر أن يسميه معجم المعاجم العربية أحادية اللغة). المهم أن العمل المعجمي العربي مستمر على مدى الـ ١٢٠٠ سنة الأخيرة بمعدل معجم كبير مفصّل كل ثلاثة عقود مما يعني بأن الاحتمال بلغة الرياضيات هو أن نرى عملا معجميا كبيرا في عام ١٤٦٠هـ/٢٠٣٨م أو نحو من ذلك وهو أمر غير غريب على لغة الضاد التي نزل بها القرآن الكريم والذي تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظه: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ» وهكذا جنّد له وسيجنّد من يوثق لغته إلى ما شاء من الزمن.